الفصـــل الثـــانى

وظيفة الظاهرة الجمالية

لقد تكلم المؤلفون كثيرا عن الظاهرات الجمالية فى علم الجمـال مثلما تكلموا عن الفن ونشأته التاريخية وأثره فى المجتمع وتأثره بالمجتمع ــ حتى التذوق الفنى الجمالى لا يمكن فى نظرهم أن يقوم على مستوى فـردى ، مستقل عن المجتمع • بل أن تقييم الأثر الفنى من الناحية الجمالية يرجـع الى المجتمع لا الى الفرد •

واذا حاولنا مثلا شرح الموسيقى كعامـل مـؤثر فى حياتنا المـادية والروحية فلا يعنى هذا شرح الشعور الجمالى الذى نحس به عندما نستمع الى مقطوعات معينة أو الى جزء منها ، فان فكرة الجمـال تحتاج الى فهم ذاتى •لمـاذا يكون تتابع الرنين جميلا ؟ أو لمـاذا نحكم عليـه بالجمـال وليس بشىء آخر ؟ هل هناك قاعدة للجمال ؟ وهل من الممكن أن نرى بوضوح الميكانيزم الخاص بالوصول الى الجمال فى المادة الموسيقية مثلا ؟

ففكرة الجمال موجودة ومؤكدة دون شك ، والاحســاس بها يمكن فى نفوسنا ويملكها الجميع •

ومقاييس الجمال الذى يعتقد البعض فى امكانية تحديدها ليست الا اثبات حقيقى أو اشارات خارجية تقدم لنا الشىء الذى نحكم عليه بالجمال، وهذه الدلائل أو الارشادات يكمن بداخلها الجمـال الذى يجب البحث عنه فى مكنونهـا •

والجمال هو الاحساس الذى يبدو عندما يبلغ الشىء قدرا من الاتقان والكمال هذا الكمال بالنسبة للعمل الموسيقى يجب أن يكون مزدوجا ، حيث أن الروحانيات والاحاسيس تشير اليه من جانبها • وهى متحركة من الصعب ادراكها وكأنها مرتبطة بقدر من الاستحسان يختلف من كائن لآخر •

وتتغير فكرة الجمال بتغير الزمان والمكانوقد قال ستاندال Stendhal « ان الجمال يتغير كل ثلاثون عاما » .

وهى فكرة نسبية وعامة وغير ذات قيمة ويجب الاعتراف بأن لها كلّ تلك المميزات [١] فالجمال ليس الا خرافة والشىء المؤكد هو وجود الاحساس بالجمال .

"La beauté n'est qu'un mythe : La seule chose dont nous soyons sûres est I'existence d'un sentinent de Is beauté".

فليس هناك جمال بذاته ، وجمال أى عمل فنى أو على الأصح الاحساس به لا يوجد الا نسبة لجمال عمل فنى آخر . لأن الشعور بالجمال يعود الى المقارنات التى قد تكون مباشرة ومدركة وقد يعتبر عمل ما غاية فى الجمال من وجهة نظر معينة ثم يعتبر أقل جمالا بالنسبة لآراء أخرى حديثة، ويظهر الجمال والكمال فى العمل الفنى عندما يصل الفنان الى قدر من الانفعال يكشف له عن مكنون الجمال فى لحن موسيقى أو صورة جميلة أو أى نوع من أنواع الفنون المختلفة ، وبالتالى يمكن لكل صفوف الرجال من مثقفين ومرهفين ادراكه بسهولة ، شرط أن يكون الشىء الجميل أو اللحن بعيدا عنا لأنه عن طريق البعد يمكن أن يدخل فى نفوسنا ببطء وتؤده حتى نخلع عليه حكما ساميا ولكى نقيمه جماليا[٢] .

والشىء أو السؤال الذى يسبق كل علم جمال أو علم فنى هو الاستقلال النسبى للقيم الجمالية ، فنحن نعرف الاختلافات النظرية والعملية التى أثيرت حول موضوع الفن للفن ، والموسيقى الخالصة ،

---

(١) الانسان والموسيقى : علم الجمال الموسيقى L'homme et la musique Esthétique musicale Chp. VI, Cuivier.

(٢) المرجع السابق

والشعر الخالص ، وكان علم الجمال السوسيولوجى القديم الذى كان فلسفة منهجية سابقة لتاريخ الفن ، يرى أنه طبقا لما توصل اليه العلماء فان الوظائف الغير جمالية مثل الدين ، والوطن ، والاسرة ، والعمل ، تعتبر اجتماعية ، وتعتبر الوظيفة الجمالية فقط غير ذلك ، بطريقة غير مباشرة ، وبالقدر التى هى فيه تعبير حقيقى عن الآخرين فتتبع تطورهم دون أن يكون لها تطور خاص •

والشكل الحيوى المقابل لهذا السوسيولوجى الجمالى •
اليوم هو المادية التاريخية ، وعلم النفس التحليلى ، والمدارس المتعلقة بالايمان •

وقد لاحظ كثير من المؤرخين الفنيين أن الاشكال الفنية ، والصور ، والأساليب والانواع ، والمدارس كلها ذات طبيعة نوعية ، وهيئة وتطور خاص ، لدرجة أنها ترتبط بالنظم الاجتماعية الأخرى برباط مرن •

وهناك أيضا أتباع للشكل الجمالى المستمد من هيربرت ، يرون أن الاشكال الفنية ثابتة ، ومجردة وناتجة عن أفكار فردية دقيقة ، وجدت متفقة فى كل عصر بانسجام عجيب تم من قبل بين نفوس الافراد دون ارتباط بالمجتمع العضوى أو العادى : مثل

Tel Matila Chy Ker, Etienne Sourian

ويرى آخرون أن الأشكال الفنية تولد وترداد أو تتقدم ثم تنتهى ، وتعود من جديد حسب قوانين خاصة — وأن دراسة القوانين والوقائع النوعية التى تتضمن الاستقلال النسبى للحياة الجماعية للفنون لا تستبعد أى دراسة للأفعال وردود الأفعال العديدة للحقائق الغير جمالية عن الفن •

وستظهر أمثلة عديدة لهذين النوعين مما يرتكز عليه مستقبل علم الجمال السوسيولوجى[١] •

ونحن هنا بصدد البحث عن حقيقة الظاهرة الجمالية وما يرتبط بها من الاحكام التى تقوم على أى تقييم أى أثر من الناحية الجمالية ، وتفسير هذه القيمة •

واستنادا الى « قواعد المنهج الاجتماعى » لدور كايم فان شارل لالو يرى أن الظدهرة الجمالية ظاهرة اجتماعية ويقول أن « شكل فكرة الجمال هو شكل الأمر : أى شكل سلطة تفرض نفسها بمقتضى تنظيم اجتماعى قادر على تثبيت القيم » •

وقد كان اتجاه لالو (Lalo) اتجاه وصفى واضح واجتماعى ، فهو يرفض كل تصور عاطفى صوفى وفردى للجمال والفن ، ويرى أنه اذا شاء علم الجمال L'esthèfique أن يصبح علما فينبغى عليه أن يسير بطريقة تجريبية واجتماعية ويجب عليه أن يعالج الظواهر على أنها أشياء — وقد ناضل لالو (Lalo) فى سبيل علم جمال كعامل ، بمعنى أن علم الجمال كى يكون علما ، ينبغى عليه أن يكون تجريبيا ، ولكى يكون تجريبيا مع بقائه جماليا ينبغى أن يكون اجتماعيا • وعلم الجمال التجريبى كما يقول فنشر ، ليس الاجزاء من علم الجمال العلمى ، أعنى من علم الجمال الكامل[١] وعلى الجمال الكامل سيكون دراسة علمية لكل أحوال الجمال ، ابتداء من أشدها تجريدا حتى أكثرها عينية ، دون استبعاد شىء ، وهكذا سيشمل رياضيات وفسيولوجيا ، وعلم نفس وعلم اجتماع • وتعتبر اللذة

---

(٢) كتاب الفلسفة المعاصرة ص ١٥٨ سنة ٦٠ ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى — مراجعة الدكتور ثابت الفندى

L,Année Sociologique : Note sur I,Esthétique, 1933 Charles Lalo.

الجمالية متعة خاصة جـدا ، ناشـئة عن ارضـاء مطلب فنى منظم رتبـه المجتمع • فاليونانى الذى ربى على الصناعة القديمة من المؤكد أنه لن يجد مجالا فى الكنائس القوطية • وهذه مسألة تأثير اجتماعى لا ذوق فردى • وليس فكرة انسانية بل فكرة اجتماعية • فاذا كان الفن لعبـة ، فانه لعبـة اجتماعية أى ترف ، واللعب الاساس فى علم الجمال عند فنشر ، وكذلك فى علم الجمال الفردى بوجه عام هو سوء تقدير الخصـائص النوعية لعـلم الجمال ، بأنه لا يرى فيه غير فرع من نظرية اللذة أو على وجه أعم ، من علم النفس ، بينما هو لا يكمل الا اذا صار نوعا من علم الاجتماع • ويحدد لالو الطابع الاجتماعى لعلم الجمال على النحـو التالى : « ان الظـروف الجماعية للحياة تحدد ، من بين الملكات والتفضـيلات أو الاستعـدادات الفردية ، تلك التى ستكون جمالية وتلك التى لن تكون كـذلك ، وتطبـع فى الاشخاص المختلفين أشد الاختلاف اتجـاها مشتركا يسـود فى الواقـع اختلافات أمزجتهم ، وتقرر ما اذا كان يمكن الافادة منها فى هذا الميدان أو ذاك ، واذا كان سيكون لها هذه القيمة أو تلك • وحينما تصـبح الظواهـر ألوانا من الاوامر الاجتماعية فانها تصبح نهائيا ذات قيمة جمالية •

والشخص عندما يصدر حكما على الظاهرة الجمالية فمعـنى ذلك أنه يعطيها قيمة خاصة أى يقيمها من الناحية الجمالية فما معنى هذا التقييم ؟•

لم يكن الانسان أولا فى حاجة الى تفسـير وتحليل للطبيعة اذ كانت غايته منها هو الانتفاع العقلى من هذه الظاهرات ، وبعد اشباع حاجته وصل الانسان الى الشعور بالحاجة الملحة للتفسير حتى يتكيف • هـذا الميل الى التفسير والى تكوين عقلى للظواهر يكون أساسا للسلوك الانسانى وهـو الذى مهد لظهور العلم • وقد تكون هذه المرحلة التفسيرية متمشية زمنيا مع

مرحلة الاستمتاع[١] الفنى أو ربما تسبقها أو تتأخر عنها • فالشعور الجمالى هو من ذلك النوع من « شعور خاص » الذى ليس لديه أى غاية نفعية • ويجب التفريق بين الشعور الجمالى فى الطبيعة والاستمتاع به والتعبير عنه فهذه ثلاث مراحل متمايزة وقد تكون مترابطة ومتداخلة •

فالاستمتاع بالجمال والتعلق به يأتى بعد مرحلة تقدير الجمال — وهذا التميز بين الشعور والاستمتاع ليس تميزا سيكولوجيا — بل هو منطقى ، ومن الناحية السيكولوجية فان لحظة الشعور بالجمال ترتبط بلحظة الاستمتاع به ، ولكن هذه اللحظة قد تطول وتستمر اذا كنا نرى الشىء الجميل باستمرار ، أما تقديرنا للجمال فقد يثبت بعد عدة زيارات أولية للأثر الفنى وقد تظهر له معالم جديدة تحمى فى النفس مشاعر جديدة بعد أن يكون الاثر قد اندمج مع النفس وهو ما يعرف بالاندماج أو العيش داخل الأثر الفنى — وبعد ذلك تأتى مرحلة التعبير عن الشعور الجمالى والاستمتاع به وقد يتم ذلك عن طريق الغناء مثلا •

والفنان بعد أن ينتهى من عملية الخلق الفنى يحاول تقييم انتاجه بالنسبة للبيئة التى يعيش فيها سواء أكانت بيئة طبيعية أو انسانية • وهنا يشعر الفنان بجمال أثره الفنى مهما كان حكم الآخرين عليه • وقد تختلف هذه النظرية بالنسبة للشخص الآخر المستمتع اذا نظر الى الأثر الفنى بكيفية أخرى ، ويشعر بالمتعة عندما يتحقق من جمال الأثر الفنى •

وقد حاول الفلاسفة وضع تعريفات للظاهرة الجمالية ولكن الأمر يصعب هنا لأننا فى مجال ظاهرة تتصل بالوجدان والشعور • ولذلك لا يمكن أن نعرف الجمال تعريفا تاما بسبب اختلاف المواقف وتباين درجة الاحساس •

---

(١) الدكتور محمد على أبو ريان : فلسفة الجمال •

وهذه الظاهرة شديدة الارتباط بالشعور وبالحالات النفسية كالفرح والالم والحزن وقد ارتبطت الأحكام الجمالية باختلاف أذواق الناس وتفاوت اهتماماتهم • وترى المدرسة الاجتماعية محاولة الغاء الفروق الفردية حصيلة المجتمع لا الأفراد • ومع ظهور التيار الوصفى على يد أوجست كونت فى القرن التاسع عشر ازداد الاتجاه حول نزع الصفة الفردية عن الأحكام الجمالية وأجهدوا أنفسهم فى تقنين المقاييس المادية للظاهرات الجمالية ، حتى يمكن أن تخضع هذه الظاهرات لما يمكن أن تخضع له ظواهر الطبيعة من مقاييس مادية ، فمثلا يرجع بعضهم جمال الصورة أو الرسم أو التمثال الى مقاييس مادية مثل درجات التلوين وأنواعه المختلفة والظلال والانعكاسات الضوئية وما الى ذلك ، وهذه المقاييس لا تنطبق الا على الجسم ، ولكن الكائن الحى مكون من نفس وجسم ، ولذلك لا تنفذ هذه المقاييس الى النفس لتعكس الشعور الذى يحس به الفنان ويسبغه على عمله الفنى • وهذا العامل الداخلى هو أساس الحكم الجمالى لأن هناك رابطة وثيقة بين الفنان وأثره الفنى بما فى ذلك اللحظة النفسية للفنان وللمشاهد المتذوق لهذا الأثر •

أى أن تعريف ظاهرة الجمال من الصعوبة بمكان لاختلاف الاذواق التى تنتج عن اختلاف النشأة والبيئة والتربية بمعناها الواسع ، أو بسبب أن الناس يخلطون بين الشىء الجميل والنافع ، والواقع أن الجمال لا يقترن بالمنفعة نهائيا •

ولكن قد يكون الشىء الجميل نافعا ، وقد نحكم على الشىء بالجمال لأنه جديد على ناظرنا ، فالرؤية الدائمة للشىء تقلل من جماله — وكلما استبعد المتذوق للجمال أكبر قدر من الصفات التى تتداخل مع صفة الجمال فى الشىء كلما ازداد قربا من ادراك الطابع الجمالى فى الشىء الجميل •

فالجمال اذن علاقة أو ميـــز بيننا وبين الأشياء التى تستحـــوز على مشاعرنا بما يوجد فيها من سمات جمالية تؤدى بنا الى اصدار حكمنا عليها بالجمال ، فكل ادراك للجمال هو يعتبر عن الاحســـاس أى دلالة الصـــورة على الاحساس فيصبح للصورة الجمالية محتوى ومضمونا يشارك المتذوق فى تكوينه من ناحية الانفعال العاطفى المصاحب للاحساس بالجمال ويزيده الفنان المبدع للصورة من ناحية ما يصبغه على الصورة من ايديولوجية أى أفكاره وآراء عصره وتقاليده •

وصفة الجمال صفة فريدة لا ترتبط بأى صفة أخـــرى وعلى هذا فان الجمال لا يرتبط بالخير أو بالنفع أو بالراحة أو بالخلود • فقد يكون الجمال فى أثر فنى محرم دينيا وهـــذا سبب اصـــطدام الفن بالدين فى العصـــور الوسطى ، اذ لم يكن الفن مواليا لرجال الدين ، وبهـــذا اصـــطبغ الفن فى عصور النهضة بالصيغة الدينية « تماثيل وكنائس » •

وقد يرى البعض الجمال فى شىء دون الشعور بالراحة فيـــه ، فاذا قارنا بين المستمع الى الموسيقى الصاخبة « موسيقى الجاز » والمستمع الى الموسيقى الكلاسيكية الهادئة يجد اختلافا بينا فى الحالة النفسية الخاصة لكل من المستمعين •

فاللحن الصاخب يولد الاجهاد ، ولـــكن اللحن الهادىء الكلاســـيكى يريح النفس وقد يكون الاستماع اليه مسطحيا أو عميقـــا • والنوع الأول يولد أما الطرب أو النفور لعـــدم فهم القصـــة الموســـيقية ، أو يؤدى الى الاستغراق وأحلام اليقظة أى الى اللاشعور •

أما الثانى فلا يتم الا بالتدريب على تحمل الاستماع الموسيقى ، فهذا المستمع يتمعن فى اللحن ويحل قصته مثل « بحيرة البجعة لتشايكوفسكى » « والقدر » لفردى حيث بين فردى قصة الانسان مع القدر •

أى أن الشىء غير المريح قد يكون جميلا بالنسبة لطائفة من المتذوقين ولكن بصفة عامة فان الجمال يوجد فى الشىء المريح الهادىء مثل جمال الطبيعة • أما من ناحية ارتباط الجمال بالمنفعة أو عدم المنفعة فهناك مدرستين فى هذا الشأن •

١ ــ المدرسة الأولى :

ترى أن المنفعة أساس التقدير الجمالى ، ولكن هذا الرأى لا يقوم على أساس •

٢ ــ المدرسة الثانية :

ترى أنه يجب أن نفرق بين الجمال والمنفعة فقد يكون الشىء غير نافع وفى نفس الوقت جميل مثل الاعشاب السامة والحيوان المفترس والحشرة الضارة •

كذلك نحن لا نصف الفن الجميل بالصواب أو الخطأ فلا صلة بين الاخلاق والفن بل قد يوجد الفن وجهة اخلاقية فيدعو الى الفضيلة وينفر من الرذيلة أو يوجه الى غاية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية فالجمال يفرض علينا لزافة وبذاته لأن الاعمال الفنية لا يمكن أن تكون موضع استحسان أو تعبير عن النوايا الخلقية •

فالفن ليس فعلا أخلاقيا :

فقد تعبر الصورة عن فعل يمجد أو يذم من الناحية الاخلاقية ، ولكن الصورة نفسها من حيث هى صورة ، لا يمكن أن تمجد أو تذم من الناحية الاخلاقية وليس ثمته قانون جنائى يحكم على الصورة بالسجن أو بالاعدام بل ولا ثمة حكم أخلاقى يمكن أن يصدر عن انسان عاقل ويكون موضوعه صورة •

ومع ذلك فان النظرية الاخلاقية فى الفن قد وجدت هى الأخرى ، فى تاريخ المذاهب التاريخية ولا يمكن أن تكون قد اندثرت الآن ، وان كان اعتبارها قد سقط لدى الرأى العام لزوال القيمة الاخلاقية فى بعض الاتجاهات الحديثة • ومن تفرعات المذهب الاخلاقى قولهم أن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير ، ويبث فيهم كره الشر ويصلح من عاداتهم ، ويقوم أخلاقهم ، وأن على الفنانين أن يساهموا تربية الجمهور •

ويعتبر المذهب الاخلاقى فى الفن محاولة لفصل الفن عن مجرد اللذة واحلاله منزلة أسمى وأرفع به أنه هو نفسه ينطوى على جانب من الصواب فلن كان الفن خارجا عن نطاق الأخلاق فان الفنان من حيث هو انسان ليس خارجا عن سلطان الأخلاق ، أنه لا يستطيع أن يتحلل من واجباته كانسان وينبغى أن ينظر الى الفن نفسه على أنه رسالة وأن يمارسه كواجب مقدس•

ونذكر فى سياق الحديث فكرة التقليد الذى أتى بها أرسطو ، وما شهد القرن السابع عشر على وجه الخصوص من شعور قوى باختلاف المنطق عن الخيال والحكم عن الذوق ، والعقل عن العبقرية — وأخيرا ما بدأه فرانسيسكودى سانكتيس من نقد ، فجرد الفن من كل نزعة نفعية أو أخلاقية أو مفهومية وذهب الى أنه صورة خالص ، على حد تعبيره أو حدس خالص •

والخلاصة أنه ليس هناك ثمة ارتباط ضرورى بين الفن والاخلاق أو بين الحق والخير فلكل منهما مفهومية الخاص مستقل عن غيره فى العمل الفنى •

ولكن هناك تميز فى الفن بين المضمون والصورة فقد قام تساؤل عما اذا كان الفن يقوم على المضمون وحده أم على الصورة وحدها أم على كلا المضمون معا • وقد ذهب بعضهم الى أن الفن كله مضمون — وآخرون :

بل ليس للمضمون الكبير قيمة فما هو الا كاطار تعلق عليها الصورة الجميلة التى تبدعها العبقرية الفنية ويقول تلاميذ هـربرت سبنسر أن الصـورة الجميلة لا تختلف عن المضامين الجميلة التى يقول بها تلاميذ هيجيل •

والحقيقة أن المضمون والصورة يجب أن يميزا فى الفن لكن لا يمـكن أن يوصف كل منهما على انفـراد بأنه فنى ، لأن بالنسبة القائمة بينهما هى وحدها فنية ، والفن تركيب للعاطفة والصورة فى الحدس ، تركيب نستطيع أن نقول بصدده أن العاطفة بدون صورة عمياء ، والصـورة بدون عاطفـة فارغـة •

وهناك فريق آخر يميز الحـدس عن التعبير ، ويمـيز الصـورة عن ترجمتها المـادية فيضع فى جانب مظاهر العواطف ــ ويضـع فى الجـانب الثانى الأصوات والانغام ، ويدعو الطائفة الأولى بأنها باطن الفن ويدعو الثانية بأنها ظاهرة ، ويرى أن الأولى هى الفن بالذات والثانية هى الأداة •

وهناك فريق ثالث يميز هو الآخر بين شيئين لا يمكن التمـيز بينهما ، فهو يقسم مفهوم التعبير الفنى الى لحظتين : لحظة التعبير بالمعنى الخاص للكلمة ثم لحظة جمال التعبير أى زخرفة التعبير •

وليس التعبير والجمال مفهومين اثنين ، فما هما الا مفهـوم واحـد يمكن أن تدعوه بأحد اللفظين على السواء ••• ولقد أوضحنا أن الفن يتميز عما يدعى بالعالم المادى لأنه روح ، ويتميز عن النشاط العملى والأخـلاقى لأنه حدس ، ويمكن أن نزعم بأنه عن طـريق ذلك البرهان أمـكن اثبات أن الفن مستقل[1] •

---

(١) فلسفة الفن : ترجمة سامى الدروبى عن كروتشـه •

ونحن اذا تناولنا قصيدة شعرية نجد فيها عنصرين أساسيين :

أولا : الصورة الشعرية التى هى موضع الخلق الفنى •

ثانيا : الانفعالات التى تكون الصورة الشعرية ، والانفعالات الشخصية •

وهذان العاملان أى الصورة الشعرية والانفعالات الشخصية لا يمكن أن ينفصلا عن بعضهما على أى صورة من الصور فقد تتحول المشاعر الى صورة فتصبح الصورة مركبة • وهو تركيب يثير فينا المشاعر نتيجة لتآلف عنصريه ، صور وانفعالات ومشاعر •

وهناك فرق بين الحدس الفلسفى والحدس الجمالى ، فالأول موضوعه الصواب والخطأ ، والوجود والعدم والثانى موضوعه القيمة الجمالية التى يتحدد فيها ثلاث عناصر الفنان والموضوع والمشاهد •

وقد يتضمن العمل الفنى أو القصيدة الشعرية عوامل أخرى الى جانب هذين العاملين « الصورة الفنية والانفعالات » ، ولكن هذه العوامل الأخرى قد لا تهم الباحث الفنى الا بقدر ما تثير فى نفسه من انفعالات وصور • فالصورة الشعرية مثلا فى بيت الشعر هى التى تكون الموضوع الأساسى للحدس الجمالى مع حاملها الشعورى •

ولتكوين العمل الفنى لابد من تدخل ثلاث عناصر : وهى المادة ، والصورة موضوع الحدس الجمالى ، والتعبير •

أولا : المـــادة :

كل فن له مادته الخاصة ، مثل اللفظ والحركة والصوت أو الاحجار والمعادن والفنان هو الذى يخلق من هذه الخاصة مادة جمالية ويضعها فى صورة جميلة •

ثانيا : الصـــــورة :

لقد اعتاد الناس على الكلام عن الصورة أو الموضوع الخاص بالعمل الفنى والواقع أن الموضوع الفنى هو موضوع ذاته ، أى طـريقة التنفيذ والاداء هى المقصودة لذاتها فى الانتاج الفنى • ولكن فن مثل الرواية لايمكن أن يقوم بدون صورة أو موضوع • وقـد أثبت علماء النفس الصـلة بين الموضوع الذى يتناوله الفنان وبين ميوله وعبقريته • اذ أن هذه الموضوعات قد تكون ذات أهمية حيوية بالنسبة للفنان مثال « بيكاسو عندما اختار مدينة جورينكا الاسبانية موضوعا لرسمه ، وبودلبير فى قصائده عن الرذيلة فالفن ليس هو الواقع والطبيعة ولكن التعبير الانسـانى لها ذات البعـد الذى لا يتبدى الا للحساسية الوجدانية الموجودة عند الفنان •

ثالثا : التعبـــير :

هو الدلالة النفسية فى العمل الفنى وهو الذى يظهـر العـلاقة بين الفنان وموضوعه ويعتبر مظهر من مظاهر تحكم الفنان فى نمـوذجه وهـو الرابطة الحية بين الفنان وانتاجـه الفنى فالفنان اذن خالـق ينظم عالم مخلوقاته عن طريق مجموعة من الوسائط الجمالية[1] • الخاصة والفنان فى اللحظة التى ينتج فيها انما هو قاضى نفسه ، بـل قاض قاس لا يفلت منه شىء ــ كذلك الآخرون يستطيعون من تلقاء أنفسهم أن يدركوا على نحـو مباشر كامل أين كان الفنان فنانا وأين كان انسانا •

واذن ما هى قيمة حكم النقد الفنى اذا كان العبقرى يصـدره مقدما ويصدره كذلك[2] الرأى العام ؟ والعبقرى والذوق العام طائفة كبيرة ، فهما

---

(١) فلسفة الجمال .

(٢) فلسفة الفن : سامى الدروبى ترجمة عن كروتشه .ص ٩

الشعب ، وهما الحاكم العام الخالد ، والحق أن أحكام النقد تأتى متأخرة فتؤيد صورا طالما أيدها ومجدها الاستحسان العام •

وقد ظهرت نظريات فلسفية كثيرة بشأن الفن والخلق الفنى منها نظرية الالهام والعبقرية الذى يرى أصحابها : أن الفن أو الجمال ذو طبيعة فردية تعتمد على المقدرة الشخصية الخارقة فى الابتكار الفنى ، فالفنان العبقرى ينفرد بقوة نفسية خاصة لها قدرة التصور والابداع وتسمى هذه القوى بالالهام الفنى والمهم أن هذه القوة غير منطقية ، وانما هى قوة شعرية شديدة الحساسية وهى نوع من الادراك المباشر للحقائق يراها الانسان دفعة واحدة دون جدل أو نقاش فكرى ، بحيث يصبح الخلق الفنى مباغتا يأتى فجأة ودون سابق انذار ودون تحليل عقلى فهو وحى فنى يهبط على الفنان فيحول أحاسيسه الى صورة وعادة تكون هذه الأحاسيس مبهمة فى بادىء الأمر •

وهذه النظرية تبنى الفن على الاحساس الفطرى المباشر وعلى حالات من التجلى الفنى يمتاز بها الفنانون الموهوبون فقط مثل كبار الشعراء الموسيقيين والمصورين ولكن هذه النظرية تضع الفنان تحت رحمة القدر فى انتاجه الفنى لهذا اتهمت العبقرية بالجنون • ولكن هذه النظرية قد تنطبق على بعض الفنانين مثل بلزاك Belzac وفولتير Voltaire • ولهذا كان الفن العبقرى يعتبر فنا شاذا ولكنه موجود ولا يمكن أن يكون قاعدة عامة محترمة تفسر بها أصول الفن •

واجمالا فان الفن العبقرى ينبع من القلب والشعور لا عن العقل والمنطق ، ويعتبر الفنان فيه مسير بعوامل شعورية لا يدرى كنهها •

نظرية قوانين التفكير : Kant كانت[1]

وهى تتلخص فى أن الفنان بالسليقة عدة قوانين فطرية للحكم على الاشياء بالجمال أو بالقبح • وهى مقولات فنية تنحصر فى نظر كانت فى أربعة أشياء :

(أ) الكيف :

اننا اذا نظرنا الى الاشياء من حيث النوع لا من حيث النفع فان الحكم على الأشياء يكون جماليا حقا لأن الحكم الفنى قميته فى ذاته « مثل اعجاب الفنان بشكل » الفاكهة فقط ••

(ب) الكم :

الجمهور ويقصد هنا الكم الاعجابى أن الجمال يملك من القوة ما يجعله ينتشر ويعم أكبر قدر من المعجبين فالشىء الجميل هو ما يجمع الناس على الاعجاب به •

(ج) الماديات :

التى لهاصفة العموم التى للأشياء التجريدية هى فقط الأشياء الجميلة لأن فيها أنواع للانسجام والتناسق تجعل لمادتها أهمية فى نظر أغلب الناس « ليس مذاق الفاكهة جميلا ولكن باعتباره جسما ماديا • موضعا لمذاق » •

٣ ــ فكرة الترابط ، أى علاقة الوسيلة بالغاية :

كل عمل فنى له غاية يسعى لتحقيقها وهى الغاية التى اذا تحققت فى شىء أصبح جميلا ــ فهى لا تبغى شىء سوى أن تتحقق ، ولا تهدف الى شىء سوى الجمال • وهذا ما يسمى اليه الفنان • فالطبيعة مثلا فى انتاجها

---

(١) الفن وعلم الاجتماع الجمالى : الدكتور عبد العزيز عزت .

للفاكهة لا تبحث هل هى تباع وتشترى ، فانها تحقق دائما غاية كونية فى ذاتها ، وتحقق الصورة الجميلة فى الماديات نفس الشىء بالنسبة للفنان فهو يبغى فى تحقيق غاية فنه ــ ولا تكون وسيلة لغيرها من الغايات فالغاية الفنية تعلو ولا يعلو عليها وهذا معنى الترابط ، أى أن الفنان مرتبط بغاية وهذه الغاية مرتبطة بنفسها •

٤ ــ فكرة الحالة :

ان أحكامنا الجمالية تعبر عن حالة نفسية داخلية يتفق عليها الزوق عند أغلب الناس وبصتح موضع ارتياح مشترك بينهم بحيث أن الشعور الفنى هو شعور بالمشاركة • فالجمال حالة لها قوتها فى ذاتها ويشترك الناس فى الاعجاب بها ويصبح الجمال بهذا المعنى ضرورة نفسية وحالة فطرية من حالات الوجدان البشرى ولهذا عندما نقول أن الفاكهة جميلة فاننا نحكم عليها تحت اعتبار جمال • أى أن الجمال هو حالة فطرية من حالات النفس البشرية عند الناس أجمعين •

هذه هى الشروط الأربعة أو القوانين التى يمكننا أن نحكم بها على الأشياء بأنها جميلة أو قبيحة وهى شروط عقلية تشتق من طبيعة النفس الواعية •

والفن بطبيعته جمعى لأنه يوجد بين مشاعر الناس عن طريق الاشتراك الكلى فى الاعجاب بالشىء الجميل • (Bouglé)

ويعبر كذلك عن اتجاهات الناس فى المجتمع تحت تأثير الدين والعادات والعرف والتقاليد •

ويستخدم الفن كذلك لتوجيههم الى غايات اجتماعية لها فائدتها فى صالح المجتمع • (Bouglé)

لذلك كانت القوانين التى تتحكم فى الفن هى قوانين جماعيـــة وصفها المجتمع ممثلا فى هيئاته الفنية وفى مستواه الحضـــارى الذى له أثره على مستواه الفنى • "Taine"

لذلك فهذه القوانين تعتبر قواعد اصطلت عليها المدارس الفنية وهى جمهور الفن ولذلك فان من يخرج عليها من الفنانين الذين نمت شخصيتهم الفردية يوقع المجتمع عليهم شر الجزاء ويصـــبحون فنانين بدون جمهـــور

ولكن الى جانب الانتاج الفنى الشعورى فى حالة العبقرية ، والانتاج الفنى العقلى فى حالة الخبرة الفنية هناك الانتاج الفنى اللاشعورى •

نظـــرية فـــرويد :

هى أن الميول المكبوتة فتحرر عن طريق الانتاج الفـــنى ، فالفن اذن يعتبر نوع من التهذيب العقلى للمشاعر الجنسية المكبوتة •

مثـــــال ذلك :

ليونارد فينشى ولوحاته « ابتسامة الجيوكندا » أو صورة « الموناليزا » أى أن ميدان الفن قد يخلق الفنان انتاجا فنيا مع رغبـــاته الخاصـــة التى تطغى عليه والتى هى دقيقة مكبوتة فى نفسه •

ولكن تلك النظريات السابقة بالغت فى جعل الفن ظاهرة فردية ترتكز على نواحى النفس البشرية ذلك لأن الفن فى الواقع هو ظاهـــرة اجتماعية

تصـــور الواقـــع :

الفرد عندما ينظر الى الواقع عن ناحية آلية يمكن أن يشعر بالسعادة التى يعطيها له العمل الفنى • فاذا كنا نكتب ، ونصف مناظر أمام عيننا فاننا نبدى سرورا عظيما حتى اذا عرضت علينا صورة بالالوان ، هذا السرور قد يكون سببه المفاجأة أو الذكرى ماذا كنا فى هذا الوقت بعيدين عن الاصل ، ولكنه لن يكون مطلقا سرورا جماليـــا •

والملاحظ أن تصور الواقع المتغير عن طريق الفنان لا يعطى انفعالا جماليا للمتفرج الا اذا كان هذا قدر رآه غير واقعى وتقبله كشىء واقعى فان النظام الخالص لن يحرك أو يثير مافى الانفعال الجمالى من ثمين وقيم ومقدس بالنسبة للفرد • انه منظر الطبيعة التى تقيده وتنظمه الروح •

الهروب من الواقع :

ان أحد عناصر الجمال فى رواية بروست M.Proust هو هزيمة الزمن بواسطة المؤلف • عن طريق توفيقه بين الاحساس الحاضر والذكرى الماضية أى أن العمل الفنى يساعد على الهروب من الواقع وتحكم الحكم الاخلاقى سواء فى رواية أو قصة أو أى بحث •

تحسين الواقع :

هناك أفراد محتاجين الى الهروب من الواقع لأن الحياة الواقعية[1] لا تقيم لهم عناصر كافية للعواطف • فحياة البدائى قاسية ولكنها ليست على وتيرة واحدة • فهى تتلون بالخوف والجوع والحياة الجماعية القاسية• وما زالت القاعدة هناك هى المغامرة — وعلى العكس فان حياة المدنى المتحضر وخشونة الطباع ، وشعبية الحركات تمتع ارضاء غرائزه • والروابط الاجتماعية التى تخضع لقواعد صارمة تصنع من المغامرة مخالفة• ومن هنا كانت الحاجة الى المشاركة الروحية للمغامرات الخيالية بالنسبة لكثير من الأفراد • وقد تقوم السينما فى هذا العصر بتكميل الشكل الخيالى الذى يحتاج اليه الفرد مثال قصة « الجنية » فهى النموذج نفسه للفن التكميلى للواقع • وهى تخلق عالم مخالف من عالمنا حيث القوانين هناك أقل قسوة •

---

(1) L'encyelopédie francaise : Le rôle de l'art dans La vie de l'indidu - André Maurois.

ويحرر الفن الانسان بابعاده عن الهمـــوم المتلاحقة وكـــذلك بتطهير نفسه ، ويخلق فى النفوس تيارات من الاستدلال ويساعد الرجال بطريقة غير مباشرة فى أعمالهم المختلفة ، وفى فهم الغموض المتماثل فى كل أشـــكال الفكر • وبنفس الطـــريقة يساعـــد الفنان زميله ، والموســـيقى يوحى الى القصصى والخطيب ، حتى ان الموســـيقى تعتبر بالنســـبة لكثير من الكتاب كنبذة للروح ومساعدة على التصوير •

وليس الفنان فقط هو الذى يساعد زميـــله ، فانه يلهم كذلك رجـــل المعركة ، والبين شاسع بين الفن والمعركة ، فـــرجل الحرب يشـــكل العالم مثل الفنان تماما •

ويعتبر الفن كذلك مرجعا داخليا : L'art comme référence intérieure

وهذا ينطبق على المسرح والقصة أكثر منه على الفنون التشـــكيلية ، فالقارىء والمتفرج يسعده أن يوجد فى أشخاص آخرين ، فاننا نجد صعوبة فى فهم أنفسنا والحكم عليها وذلك لنقص كلمات المقارنة حتى فى المســـاواة التى يؤديها الانسان نادرا مع نفسه ، والقصص وحدة القادر على أن يخفى تلك الشخصية تحت ستار شخصية أخرى •

فأبطال دستوفيسكى قد حرروا أكثر من بائس • وتحليلات بروست PROUST أظهرت كثيرا من الغيرة فى نفوس القراء •

ويلعب البيوجـــرافى Biogrephie نفس الدور اذا كان عمـــلا فنيـــا • فليست الرغبة فى دراســـة التاريخ هى التى دعت القـــارىء الى الاهتمام بحياة المشاهد ، ولكن أيضا الحاجة الى أن يفهم نفسه •

وهناك أربعة وسائل يستطيع الفرد عن طـــريقها أن يجـــد الســـلام النفسى • أن يتبع بنفسه موضوع رغبته أو أن يصـــل الى سبب خـــوفه : أنه الفعـــل •

٢ — ويمكن أن يطلب من قوى خارقة أن تحقق رغباته أو تخمـدها : انهـا الصـــلاة •

٣ — ويمكن أن يخفى الكذب بالخيال وأن يخضـع رغباته بدل من أن يرضيها : انها الفلسفة •

٤ — وأخيرا يمكنه أن ينفصل عن انفعاله فى الدرجة الثانية التى هى المنبع الأساسى المسرور الجمالى • فان المتفرج مثل الفنان كـلاهما يحتاج الى تطهير انفعالاته وفرض نظام على الطبيعة • فان الفنان بالقـدر الذى ينفصل فيه مباشرة أو تدريجيا عن الحياة العادية يستطيع أن يظهـر فنه ويقترب من الدين وهذا يفسر أنه يرتبط بتقدير الفنون الجميلة عند الانسان المتحضر وبالاحساس بالواجب والزهد (أندريه موروا) •

ان هذا الجمال سحر على النفوس نحس به وينفعه ونجده فى أعمـال الموسيقين والمصورين والكتاب والأدباء وهذه الرغبة الدائمة فى البحث عن الفنون المختلفة وعن القيمة المعبرة وعن الجمال الخاص بكل منها ، لن تكون أو لن تتحقق الا اذا كشفنا عن أوجه التشابه أو عن بعـض العلاقات بين الفنون المختلفة •

ولكن هل هذا معناه أننا نعتقد فى وجود جمال حتمى مجرد ، ونوع من الغموض الداخلى الذاتى مع كثير من الافلاطونية ؟ بل هذا معناه ان نصرف النظر عن الامثلة المتفرقة التى ذكرها تاريخ الفنون • فلم يخلـق كل من رافائيل Raphael أو شوبان ، أو راسين أو هيجو أعمـال فنية حيـة متشابهة الصفات لأن كل فن وكل جمال لا ينفصل عن النفس الفردية التى عبر عنها •

وبقدر ما نهتم بأى عمل فنى بقدر ما يبتدى لنا الاحساس السريع بأن هذا العمل الفنى يعكس شيئا جوهريا من الفردية[1] •

---

(1) Entretien sur la beauté Adolphe Boschot.

ولكن هناك مشاعر وأفكار مختلفة تشترك فى استقبال الجمال — وهذان مثالان فى ذلك : الاسطورة الذهبية La légende dorée التى ألهمت كثيرا من الفنانين ، والمثال الآخر عن سانت بيف Saint Beuve عن المعانى التاريخية والنقد الحديث •

فكون الانسان يتأثر أمام معبد يونانى فانه يحاول تنظيم أفكاره ، حتى المشاعر التى يبدو أنها تنبض من أعماق قلبه تنتج كلها بعد تدبير طويل — والاحساس[1] بالطبيعة ينتج أيضا من بذور متخلفة من رجال آخرين موهوبين وخالقين ومخترعين ، فأثر هؤلاء يظل باقيا فى نفوسنا ، ومسيطر على أفكارنا مهما حاولنا نسيان ذلك •

فالمصورون والكتاب الذين أحسوا بجمال الطبيعة من قبل (أبدعوا فى تصويرها ستظل تعبيراتهم تسيطر على الافكار الجديدة لأنه حتى الرجل المثقف عندما ينظر باعجاب لما يحيط به من أشياء لن يمكنه اكتشاف جمالها لأنه يذكر دائما ما قاله الاولون من قبل فبمجرد وجود الرغبة فى التعبير عن الانفعال ببعض الكلمات نجد أنه يستخدم دائما كلمات استخدمها أجيال عديدة من قبل فى تجاربها الحية[2] •

الفن والجمال والمثل الأعلى :

اذا كنا نعتبر الادباء أهم من ينشر الافكار لأن الادب هو القادر عن التعبير عن الافكار مع احاطتها بالسحر أو الغموض ، فان هناك أيضا فنون أخرى تقوم بنفس العمل ، فالفن بوجه عام يظهر الى جانب الافكار مثل عليا يعبر عنها بما أنه يحتوى على الشكل التشكيلى وخاصة الشكل الموسيقى •

---

(1) Entretien sur la beauté : Adolphe Boschot.

(2) La Beauté : Kssaie d'esthòtique historique L'inspiretion Sociale - Gaston Rageot.

فالفن كما قلنا يعبر عما يجول فى نفوسنا ، ويدخل فى أعماقنا ، والمثل الأعلى للجمال لا يعتبر فكرة واضحة أو شيئا نلمسه ونكونه كما اعتاد أن يفعل الفلاسفة ولكن الفن الهام وحاجة وقلق واحساس • فهو الرغبة فى شىء يسود حياتنا ويجملها وقد يكون بالنسبة لنا موضع رغبة أو موضوع حب • ودراسة الفن هى البحث عن تلك القوة الغامضة التى أظهرت تقدم الانسانية ورغباتها وحاجاتها على مر العصور وكلمتا فن ومثل أعلى مترادفتان تقريبا تقريبا لأنه يمكن تعريف الفن بهذا القول : أن مهمة الفن هو التعبير عن رغبة الانسانية الكبرى وحاجتها الى مثل أعلى •

فمـا هـو المثل الأعلى :

هذه مقارنة بسيطة توضح لنا تلك الفكرة : فى الأيام التى تختفى فيها الشمس عنا نجد أننا نحس بوجودها وتكفى نسمة هواء لكى ينقشع الضباب وتظهر الشمس فنحن نحس دائما فى حياتنا اليومية أن هناك ضباب مشابه يغلفنا ، ونحس فى داخلنا بوجود نبع للضوء فوقفا ولكنا لا نراه ، عنـدئذ تكفى نسمة الروح لكى ينقشع هذا الضباب عن نفوسنا • والضباب هنا هو الحياة ، والشمس هى المثل الاعلى ، ونسمـة الروح التى تمـزق الستار هى الفن •

فكيف كان الفن يمارس على مر العصور بشتى أنواعـه سـواء أكان موسيقى أو رسم أو نحت ؟ وماذا فعل الفن لكى يسمو بنا نحن المخلوقات الطبيعية ، المنقسمين فى مشاكلنا واهتماماتنا المادية وآلام الحب والجمال ؟ ماذا فعل لكى ينزعنا من أنفسنا ويلقى بنا فى مجال التأمـلات والأحـلام ؟ ونسوق مثلا لذلك ان الطفل يحس بآلام عند نومه تقلق مضجعه يكـفى أن يستمع الى ترنيمة جميلة حتى يذهب فى سبات عميق ــ هذا هـو حالنا فى لحظات من حياتنا تكون اطفالا بؤسـاء ، مشـغولين بمشـاكلنا المـادية

والأدبية ، ويكفى أن نستمع الى لحن جميل أو ننظر الى صورة جميلة أو أى نوع من الفنون الجميل ، حتى تبعد عنا همومنا ونحس بالراحـــة فان الفن الذى جزبنا من واقعنا فتح لنا العالم الخيالى •• فكان هو النغم الطـــروب يهدهر الانسانية المعذبة على مر العصور •

واذا تتبعنا تاريخ المثل الأعلى مع تاريخ الفن نجد هنا ثلاث عصـــور للانسانية :

النحت :

بالنسبة للعصور القديمة •

فن العمارة :

بالنسبة للعصور الوسطى •

الموســـيقى :

للعصور الحـــديثة •

فالنحت هو التعبير عن النفس القديمة • ولكنا سنبدأ بفن العمارة •

نأخذ مثالا المعبد اليونانى :

هذا المعبد سيجذبنا أولا بمظهر الانسجام والهدوء والجده ــ كذلك نرى أن هذا المعبد منخفض وأقل ارتفاعا مما حوله • وخصص ليس من أجل حماية الجماهير أو لاقامة الصلاة ولكنه ببساطة بيت لاله يحتاج لمنزل مثلنا أى أن رواد المعبد هم الآلهة •

وقد اتخذ اليونانيون المثل الأعلى لآلهتهم الجمال ، الجمال الجسدى وهكذا كانت العصور اليونانية تعيض بالقرب من الآلهة الطبيعيين ، متخذة كنموذج أجمل الرجال ، وهذا يشرح لنا لماذا كانت انفصالاتها فى فن النحت أى أنه حتى لو لم تكن عندما أعمال كبار الفلاسفة اليونانيين سوفوكليس Sophocle أو آشـــيل Escyle واذا كانت اليـــونان لم تترك لنا كاثير

لوجودها على الارض الا التماثيل التى يتكون فيها متحف القدماء فى روما كان يكفينا هذا الكنز لكى نعرف أو الواقع الأول للمثل الأعلى الكاثوليكى كان تقديس الشكل الانسانى •

واذا انتقلنا بعيدا الى كاتدرائية سترازيورج نجد الصفة المعمارية تأخذ معنى جديد فالمعبد متسع وضخم ••• لأن الزمن يؤمون هذا المعبد ليس الأفراد المرفهين سكان المدن المثقفين ، الذين اعتادوا الحياة الرياضية ، بل على العكس من ذلك يدخله الرجال المدرعون سكان العالم البائس الذين يعانون من مآس الحياة ويهدفون الى الهروب من الأرض والتخلص من الحياة • ولذلك كان هدفهم من بناء هذه المعابد الضخمة هو تحرر أرواحهم ، أى أنهم غبروا بفن العمارة كما عبرت الاجيال القديمة عن طريق النحت عن المثل الأعلى الجديد ، والذى لم يكن حب الطبيعة ، بل كان ايمان خارق بشىء لا يمكن الامساك به •

ثم تابعوا السمو بالنفس وظهر فن جديد هو أنه يجب أن يكون للكنيسة صوت ، ويجب أن يسمع فيها الغناء • وهكذا ظهرت الموسيقى الكنائسية التى تطورت حتى وصلت الى عهد باخ J. Sebastien Bach

ورغم نقاء وجمال المثل الأعلى فان الانسانية لم تستطيع أن تسعد به مدة طويلة اذ يجب أن تغير هذا المثل « الذى قدمه باخ » • فى الواقع أن الانسانية فى العصر الحديث اكتشفت عنصر جديد ، لم يكون هو الجمال القديم ، أو الايمان كما كان فى العصور الوسطى ، ولكن هو الواقع ، الواقع الذى أقامه العلم ، شىء أكثر تماسكا وأكثر صدقا ولكنه أكثر جفاء وضعفا — فنجد الكلاسيكية تمجد العقل ، وفى القرن الثامن عشر الثورة ، وفى بداية القرن التاسع عشر الرومانتيكية — فقد أصبحت الموسيقى ، الفن المميز

لهذا العصر الثائر ، ولم يكن دورها هو اظهار المثل الأعلى لأننا لم نكف عن البحث عنه ، ولكن على العكس كان دورها ترجمة هذه الرغبة ، وهذا البحث وتلك العاطفة للمثل الأعلى وقد ساعدت الرومانتيكية على ذلك .

الجمـــال · **La Beauté...**

بعد هذه الفكرة العامة عن تطور الفن ستصل الى نوع من الجمـال ، علم الجمال الحديث الخـاص بـكل أنواع الفنون فمـا هى أهمية عـلم الجمال هـــذا ؟

نحن نعيش فى وقت من الفوضى : المادية ، والعقلية ، والاخـلاقية ، وفوضى جمالية[1] والاهتمام اليوم منصب على هـذه الفـوضى الجمالية ولكننا سنعرف الجمال وسنبحث عنـه « بالنظر خلفنا » أى الرجـوع الى الماضى ، الى الآفاق الانسانية فى كل عصور تاريخها ، ماذا كانت المبـادىء التى يمكن استنتاجها . أى أننا سنبحث عن المنابع الدائمة للفن وسنأخـذ منها ما نحتاجه اليوم .

فالانسانية فى تطورها من التقدم والتأخر ، قد حققت السمو فى الفن والجمال الكامل .

وكان هذا كما نعلم فى بلد جميل ، تحت سماء صـافية ومنسـقة على شاطىء البحار الرخيمة ، وفى المدن الضيقة ، ذات الحراسة المشددة والادارة الموفقة حيث يوجد النبلاء الذين يتمتعون بالحـرية والفـراغ وحاولوا أن يستغلوا هذا الفراغ الذى فى حياتهم فى ثقافة الروح والجسـد يقضـون أيامهم فى الاماكن العامة والرياضة والنوادى ، وقد يقضـونها فى السماع

---

(1) Désordre esthètique.

الى الفلاسفة وهم يتنزهون فى الحدائق أو تحت الظـلال على شـواطىء وهذا ما ذكره فى الالياذه •

والدراما اليونانية كانت تشمل كل الفنون فى آن واحد فكانت تشتمل على الموسـيقى والغناء والتصـوير والديكور — ولكن المتفرجـون كانوا مختلفين عنهم اليوم اذ كان المسرح فى الفضاء • فقد كان الانسجام قائم فى هذه الدراما لكى تجذب اليها نفوس معجبيها كما قال افلاطون •

وهنا يمكننا أن نستخلص ميزة عامة للفن • ماذا يجب لكى نصـل الى الاعجاب الكامل والى المتعة الجمـالية ؟ ومتى نبـدأ بالاحسـاس بالشىء الجميل وبالشعور الفنى •

لقد بين ديلاكروا فى دراسة له عن « العاطفة الجمالية » أنه عند نقطة ابتداء عاطفة جمالية يوجد عنصر فى الاحساس الخالص ، بدونه لا يمـكن للعاطفة أن تولد ولا يمكن أن تهتم • وهذا الاحساس بالجمال هو الشـكل الحى المعبر ومحتواه هو عالم العواطف بأسرة ، وحياة الاشـياء ، والحياة الباطنة ، والتداخل الوثيق بين الذات والموضوع — ولهذا فان مصـالـح الانسانية نجدها فى الفن ، والفن انه هو الا لعب دون وجدان ، ولقد أصاب كانت Kant حين رأى فيه انسجاما لوظائفنا ، ونشاطا انسجاميا للحواس والخيال والفهم[1] •

فالوصول الى الاحساس بالجمال وبالشعور الفنى يشتمل على بعض الصعوبة فاننا عندما نرى الشىء فان ادراكنا واحساسنا وخيالنا يدور حول حادثة سريعة والفرد يصبح فنانا فى اللحظة التى يستطيع فيها أن ينسى فى نفسه فى وجود أشياء لا يراها الا لنفسها ، كذلك عنـدما يميل الى التأمـل الخالص دون أى احساس انسانى وهو يقول ببساطة هذا جميل :

---

(١) الفلسفة المعاصرة : ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى .

يجب اذن أن يكون الفن قادرا على خلق هذه الحالة من عدم الاهتمام والتأمل ولهذا يوجد الفن : — ان الفن يعطى أولا هذا الاحساس بالوحدة وسط الوجود والذ ى يجعل خيالنا الحر يحقق بنفسه ما يصبو اليه الفنان، أى أن الفن جلب نوعا من الايحاء وهذا ما كانت تفعله الدراما اليونانية فى المتفرج اليونانى عندما يوجد أمام دراما لآشيل أو سوفوكليس •

أى أن المثل الاعلى اليونانى هـو الجمال ، الجمال الخلـقى ، ونحن لا نعنى بذلك جمال الوجه أو جمال التعبير أو الجمال الخلقى ولكن الجمال الطبيعى للجسم ، الجمال الجاد الثابت بأن الجسم هو الذى يتكلم ، وهو الذى قدسه اليونانيون •

ونختتم ذلك بأن الانسانية قد وسعت آمالها العقلية ، وأعطانا الدين احساس جديد بالعالم وسنرى تقدم الروح الشعبية كذلك سنعاصر التطور الدائم حتى يتحقق المبدأ الذى وضعته الثقافة اليونانية عنـدما أعلنت أنه ليس هناك جمال الا فى العمل والحكمة والانسجام •

واذا كانت اليونان قـدمت لنا العقل والحـكمة فان الشرق بآفاقـه الواسعة ومآذنه الضخمة كشف لنا الحلم الكبير والوهم والغرور — ولكن لن يكون جميلا الا اذا كان هو الآخر منظم وذو قواعد ، فهـو جـزء من الالهام • وهو الذى يقودنا الى الموسيقى ولكن الموسيقى فيها ما هو جميل وما هو سيء ، ولكنها كانت أكثر تقدما من سائر الفنون الأخرى من رقص وغناء • فالفن شيء جميل يهـذب النفس ويخلـق لها بعيـدا عن واقـع الحياة[1] •

مذهب الحلول :

لكى نفهم المعنى الحقيقى لمذهب التصوف « لمذهب الحلول » يجب أن

---

(١) كتاب الجمـال : La beauté : Caston Rageot

نذكر ما قيل من قبل من أن اليـونان والشرق بالرغم من التعـارض الكبير بينهما فى الاحساس بالحياة بحيث أن الاولى نجد الحياة جميلة ، والثانيـة نجدها صافية قاسية ، ولكنهما كانا متفقان فى نقطة واحدة : نظـرتهم الى الطبيعة ، فهى بالنسبة لهم تعتبر الديكور الهام للحياة•• ثم جاءت المسيحية بعد ذلك وأبعدت الانسان عن الطبيعة وألفت بهذا الانسجام بين الانسان والطبيعة فاذا قارنا بين جامع كوردو مثلا فى اسـبانيا ، وهـو يعتبر من الاعمال الاسلامية الرائعة ، وبين الكتدرائية التى فى وسـط هـذا الجامع ولكنها تعلو الى ما فوقه •

فهو فى اتساعه يعبر عن الموت وثقله عن الانسان ، بينما الكتدرائيـة تظهر على العكس من ذلك التسامى ووثبة الانسان فوق الارض والآلهـة ، هذه هى صورة مذهب الحلوم وهذا المذهب هوالتعبير عن النفس المسيحية•

وكون الفرد متصوف هو أن يعيش فى فكرة حياته ينظر الى أعلى فيما فوق القدر ، أى يخشى الحياة ويعبد المـوت ، ويعيش على هـذه الفكرة ، والعيش فكرة الموت هو مغزى التصوف •

ولكن كيف ظهر هـذا المذهب فى الفن ؟

فى فن العمارة نجد أنه يتقدم فى الفضاء ويعبر عن قلة الحـركة ، أما الموسيقى فليست لها صلة بالمكان ولا تثير فينا شيئا ماديا أو طبيعيا بلَ هى نتاج الروح الخالصة بينما نجد فن الرسم أو التصـوير يشمـل الاثنين الزمان والمكان لأن الفنان عندما يصور يترجم فى المكان الجامد تتابع الزمن، وهذا ينطبق على النحت أيضا •

ولكن لمـاذا لعبت الموسيقى وفن العمارة دورا هاما فى تصـوف كلَ الديانات وخاصة التصوف المسيحى ذلك لأن كل منهما قد تخلص من العبودية التى كانت تجثم على الفنون الاخرى •

ولكن الموسيقى لم تستطيع أيضا أن تتخلص من المكان أى من المادة والشيخوخة والهرم ، فانها تنساب مع الزمن وعن طريق الاتساق تختلط بالابدية مع أفكارنا ومخيلاتنا عندما تنفصل عن العالم الحسى فاننا نشعر بأنها تعبر عن صوت النفس وهى تبعد بنا عن الحياة العادية لكى تتركنا فى أحلامنا وفى حياتنا الروحية .

ولكن هذا لا يعنى أن الموسيقى بصفة عامة هى تقدم كل فن ، فيكفى أن تكون النفس صافية لكل تخلق وتحقق أى شكل فنى يسود التطور ، واذا كانت الموسيقى قد تقدمت بطيئا فى العصور الوسطى فذلك لأنها كانت تعبيرا بسيطا عن الاحساس . اذا كانت ينظر اليها على أنها علم أكثر منها فن .

لقد قادنا كل من فن العمارة الاسلامى والنحت اليونانى ، والكنائس والأعمال باخ الى حدود العالم الحديث ، حيث ظهر قلق جديد ، وعواطف أخرى جعلت من المستحيل تحقيق السحر والكمال الذى عبرنا عنه من قبل. ولكن العاطفة La Passion كانت ذات أثر كبير على حياة الأفراد والفنانين، اذ كانت النبع الجديد الذى تفتح له القلب الانسانى .

وكلمة عاطفة Passion : تعنى ميول القلب ، وهى حالة تغلب أى ميل على الميول الطبيعية وهذا الاحساس ينطبق على العلم والحقيقة والواقع والعدالة والنصر كذلك على المال فان العاطفة يمكنها أن تلبس كل الاثواب من اللعب حتى القداسة .

واستخدامنا لهذه العاطفة يعتبر المبدأ الاخلاقى المحتمل لعلم الجمال ، ولذلك جذبت تلك العاطفة أنظار الفنانين ، فهى المبدأ الذى ظهر فى علم الجمال فى العصر الحديث ، وقد كانت القوة المحركة لكل الفنانين سواء فى الادب أو فى الموسيقى شتى أنواع الفنون . وقد تغلبت هذه العاطفة على

كل المنابع ا لاخرى وأصبحت تسيطر على الفنانين مثـــال فى الرومانتيكية ولكن هذا لا يعنى جعل العاطفة كل الحياة أو كل الفن فليس مـــع العاطفة نصنع جمال الحياة أو جمال الاعمال بل يجب شيء آخر •

فالعبقرية هى القلب معبرا عنه بالعقل • ويجب أن تكون هذه العاطفة خفية ونشطة ، لقد ظهرت العاطفة شعوريا أو لا شعوريا عن طريق فنانينا خالقة للجمال فان العواطف الجميلة هى عواطف النفوس الجميلة :

"Les belles passiona ce sont les passions des belles ámes"

ولكن الى جانب العاطفة هناك منابع فنية أخرى فضلا عن المؤثرات الاخرى التى تجعل الفنان ينتج ويعبر عما فى نفسه ويعـــبر عن الحياة وعن البيئة التى يعيش فيها فالفن تعبير عن الحياة ، ويتصل بواقع حياتنا ، فلم يكن الفن تعبير عن الحياة الفردية فقط بل ان الفن تعبير عن المجتمـــع وعن الحياة الاجتماعية •

التعبير عن الحياة فى الفن :

ولكن كان هناك فهم خاطىء للنظريات التى جعلت من الفن تعبير عن الحياة الفردية والجماعية ، وقد رأى شارل لالو Ch. lalo أن يميز بـــين نماذج مختلفة للروابط التى نربط العمـــل الفنى والحياة ، وهى الخاصـــة بالمؤلف وجمهوره سواء أكانت ازدياد ، مثالية ، ترفيـــة أو لعب دون اعتبار لكثير من التنوع أو التداخل •

وعن اختيار نقدى للموضوعات الواحدة ، وللازدواجات الفردية التى تعارض بين الحياة السطحية والحياة العميقة أو بين الفـــرد والمجتمـــع ، تحرض لالو Lalo لعدة نمـــاذج مختلفة للحياة الاجتماعيـــة • فمثـــلا التراجيديات الشعبية تتعارض بقـــدر الامـــكان مع الحياة الديموقراطيـــة الهادئة للريفيين ، كما هـــو الحـــــال بالنســـبة للرومانتيكية الفـــرنسية ،

والبورجوازية ، والروتينية التى أصابت نجـاحا تحت الملك البورجـوازى لويس فيليب فملأت بالفن فراغ الحياة الحقيقية ، وهى احـدى الوظائف الطبيعية للحياة الفردية أو الجماعية •

وعلم الجمال السوسيولوجى الخاص عند تين Taine وأوجيو Guyau كان مبسطالم ينقض الا المعنى الخاص بتنوع الوظائـف النوعيـة للحياة الانسانية التى يجب أن يتدخل فيها العلم الفنى الجديد[١] •

والنظريات التى كانت تبين صلة الفن بالواقع والحياة كثيرة[٢] :

منها من قالت ان الفن لا يرتبط بالحياة مثل برجسون وشوبنهاور •

فقد قال شوبنهاور ان الفن هو فرار من المظهر الى الحقيقة الثالية ، وهو الطريق الى الخلاص من ارادة الحياة حيث تنعم من خلاله بالسـلام النفسى ، وكما أن الفن أداة للمعرفة فهو أيضا أداة للعلاج النفسى •

أما برجسون : فيرى أن العمل الفنى وليـد تأمل خالـص وسـلبية حدسية تقوم على الادراك المباشر للطبيعة أى أن الفنان يقوم بالمشـاركة الوجدانية فقط • وعلى هذا يصبح الفن نوعا من الاستبطان أو التجـربة الصوفية التى تحدث حزبا من الانفصال عن الواقـع ، وحقيقة الامـر أن شوبنهاور وبرجسون قد فشلا فى الربط بين الفن والحياة وأنهما ربطا بين الفن والفلسفة بل جعلاه مدخلا للفلسفة •

٢ ــ الفن مرتبط بالحياة أرسطو :

لقد كان أرسطو يرى أن نظرية ما كان الفنان للطبيعة تعنى أنه يستمد وحيه من الواقع ، وقد أساء البعض فهم نظرية أرسطو وقال انه يعنى تقليد

---

(١) شـارل لالو :

Ch. lalo L'expression de la vie dans l'art.
L'annre sociologique, 1933 paris, Alcan.

(٢) فلسفة الجمال : الدكتور محمد على ابو ريان •

الفنان للواقع ، والحقيقة أنه فرق بين الواقعية الساذجة مثل آلة التصوير وهى ليست من الفن فى شىء وبين الواقعية النقدية الذى يتكلم عنها أرسطو وتعمل على تعديل الواقع وتحسينه وهذا يجعل الفن قريب من الحياة •

٣ ــ وكنا نجد فى موقف جون ديوى محاولة كبرى للاقتراب من الواقع فهو يربط الفن بالتجربة ويخلع عليه صفة نفعية عملية وظيفية ويسبغ على الخبرات الانسانية بصفة عامة طابعا جماليا فليس هناك فاصل فى نظرة بين الخبرة الجمالية وخبراتنا اليومية ومن ثم فانه لا تمييز عنه بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، فلكل تجربة صفة جمالية بشرط أن تجىء متتابعة متسقة مشبعة وباعثة على الرضى أو اللذة نتيجة لما يصاحبها من تفاعل حيوى • وعلى هذا فالعنصر الجمالى ليس خاصا بالفنون الجميلة وحدها • بل بكل عمل يقوم به الانسان •

أى أن الفن يرتبط وثيقا بين الحضارة الانسانية ويجمع أوجه النشاط المختلفة ولكن يؤخذ على ديوى هذا التعميم الذى لا مبرر له للسمة الجمالية ، فليس الفن هو الواقع ، بل هو التقاء الفنان المبدع بالواقع ، وليست الفنون التطبيقية مجالا للتجربة الفنية الخالصة اذ أنها تستهدف غاية نفعية بينما تستهدف التجربة الفنية الخالصة الخلق الفنى فى ذاته ولذاته •

٤ ــ وقد قام شارل لالو Ch. lalo بالتوفيق بين المذاهب السابقة فى علاقة الفن بالحياة ، فالفن ليس مرتبط بالحياة أو منعزلا عنها وليس هو أيضا فقط الحياة نفسها أو فرار منها ، بل هو هذه الصور جميعا ، وقد تكشفت أمام لالو خمسة أوجه لعلاقة الفن بالحياة من خلال دراسته للنماذج المختلفة وهى :

١ ــ الوظيفة التكنيكية للفن : L'acivité technique

أى ممارسة الفن لذاته ، وهو موقف أصحاب مدرسة الفن للفن عند بودلير وأوسكار وأيلد •

٢ ــ الوظيفة الترفيهية للفن :

أو الفن كترف كمالى معنى هذا أن الفن هو ضرب من اللهو واللعب أو التسلية وسط مشاغل الحياة وهمومها ، وهذا هو رأى كانت وشيلر وهيربرت [١] •

الوظيفة المثالية للفن : La fonction de perfectionnement

وتكون مهمة الفنان هو تجميل الواقع أو تجسيم المثل الاعلى (وهو الموقف الافلاطونى) كما فى أقاصيص البطولة •

٤ ــ الوظيفة التطهيرية للفن . La purgation des passions

أى وظيفة الفن هو تطهير انفعالاتنا ، وتحريرنا من الألم وتحصيننا أخلاقيا •

٥ الوظيفة التكرارية أو التسجيلية للفن :

La fonction de redoublement

ومهمة الفن هنا هو تسجيل ظروف الحياة بقصد العمل على استبقائها والاحتفاظ بصورها أو تكرار الوقائع مع تغييرها فى أضيق حدود • وقد تكون هذه النزعة طبيعية كما هو الحال عند تين Taine ، أو دوافعية كما عند Galo أو وجودية كما عند سارتر Sarter ونجد أيضا هذا الاتجاه عند مونتيفى وستندال وبروست Proust وهكذا يكون الفن عبارة عن الاداة التى يصوغ بها الفنان حياته الفنية أو حياة الآخرين مع شىء من التعديل الذى لا يقترب بالعمل من التحوير الرومانتيكى ذى الطابع الخاص•

ويقول تولستوى أن الفن ليس ميدانا للاخلاق أو الدين بل هو ظاهرة خصبة حرة يجب أن يدرس فى ذاته كما ندرس الظواهر الاخرى وبهـذا نستطيع اقامة علم للظواهر الجمالية •

أى أن الفن مرتبط بالواقع والحياة وأنه تعبير عنهما وتعبير عن شتى أنواع النشاط الانسانى • فالفن هو نتيجة تأثر الفنان بالمجتمع وكذلك تأثر نفسيته بالطبيعة الذى يستمر منها أصول صناعته الفنية ، ولا تغفل العلاقة الموضوعية بين الجمال والفن فالشىء الجميل مثلا ليس جميلا لأنه يتضمن معنى انسانيا وعقليا عن الجمال فحسب ، بل أن الجمال الذى نحكم به على الشىء هو نتيجة للعلاقة الجدلية أى للترابط المتفاعل بين الانسان والطبيعة وهذا العمل هو الفن ، وفلسفة الفن تحاول أن تستخرج الشىء الجميل من النشاط الفنى نفسه أى من آثار الفنانين والكتاب كما نفعـل فى الاخـلاق حينما نستخرج معايير السلوك لحياتنا الاخلاقية من تلك الحياة التى تحياها ولهذا يجب علينا أن نستعرض سائر ميادين النشاط الفنى لكى نتعرف على هذه المعايير وذلك عن طريق تصنيف الفنون •

ولقد قامت عدة تصنيفات للفنون الجميلة نذكر منها :

١ ــ تصنيف كانت : Kant

لقد ميز كانت بين ثلاث أنواع من الفنون الجميلة •

الفنون الكلامية :

وهى النثر الادبى ، ثم الفنون التصويرية وهى أولا : الفن التشكيلى ويتضمن النحت •

ثانيا : التصـــــوير •

ثالثا : فنون تلعب بالاحساسات وهى المـوسيقى وفن التلوين وفن الحدائق والمسرح والغناء والرقص •

٢ ــ تصنيف شوبنهاور :

وهو يرتب الفنون كالافكار أو المثل نفسها على أساس التصورات •

(أ) ففى الدرجة السفلى نجد فن العمارة : ويكمن الجمال فى هــذا الفن فى عملية دفع وجذب بين الثقل والمقاومة ، الثقل وهــو الاســاس ، والمقاومة هى الاعمدة والبناء •

(ب) الفنون التشكيلية :

وهى النحت والرسم •

والنحت :

يكشف عن البنية الحركية للصورة الانسانية •

والرســم :

وموضوعه الخلق أو الابداع •

(ج) الشـــــعر :

ويتجه الى حواس الافكار الشعر الغنائى ، والتراجيديا وهى أسمى الانواع •

(د) المـــــوسيقى :

وقد أضاف ليستج Lessing الى تصنيف شوبنهاور فــكرة الزمان والمكان اذ ميز بين الفن التشكيلى المكانى وبين الشعر الزمانى والحركى •

٣ ــ تصنيف جرين :

ذكر ستة فنون كبرى موزعة بين ٣ مراتب •

١ ــ (أ) فنون مجردة :

وهى الموسيقى وخاصيتها الزمان •

(ب) العمارة :

وخاصيتها المـــكان •

(ج) الرقـــص :

الزمان والمكان معـــا •

٢ ــ فنون تعبيرية :

النحت والرســـم •

٣ ــ الفن الرمـــزى :

(الادب) ويستند الى الزمان •

٤ ــ تصنيف شارل لالو : Ch. lalo

واستمد تصنيفه من نظرية الجيشتالت فى علم النفس •

أولا : تركيب السمع (الموسيقى الكورالية) •

ثانيا : تركيب البصر (الرسم والنقش على الكنائس) •

ثالثا : تركيب الحركة (بالية الاوبرا) •

والحركة الظاهرية الطبيعية (ينابيع الحياة)

رابعا : تركيب العمل أو الفعل (المسرح)

خامسا : تركيب ينصب على المواد الخام : فن العمارة •

وتركيب يعبر عن موجودات حية (النحت) و (فن الحدائق) •

سادسا : تركيب اللغة والشعر •

سابعا : تركيب الحساسية •

obeikandl.com

٥ ــ تصنيف لا سباكس :

وهو من أتباع المدرسة الاجتماعية الفرنسية وقسم الفنون الى ثلاثة أقســـــام :

أولا : فنون الحركة :

وتشمل الرقص والغناء والموسيقى ويعتبر الرقص أبسطها جميعا •

ثانيا : فنون السكون :

وهى الفنون المعروفة عادة وهى العمارة والتصـوير والنحت ويراها لاسباكس تبنى على التناسق العقلى وتخضع للمنطق ويشعر الانســـان فى داخلية نفسه عندما يراها بنوع من الاعجاب والاكتفاء لأن غايتها التعبـــير عن الجمال فقط بينما الفنون فى القسم الأول أســـاسها الدوافـــع النفسية المحركة •

ثالثا : الفنون الشعرية :

ومنها الشعر الغنائى ، والشعر القصصى ، والشـــعر التمثيلى ومنه الكوميديا والتراجيديا ، وكذلك الاوبريت أو التمثيليات الغنائية •

هذه الانواع من الفنون تجمع بين ناحيتين :

أولهما : الفن الادبى • ثانيهما : الغناء أو الموسيقى •

٦ ــ تصنيف ســوريو : Souriou

ويعد تصنيفه أكثر تماســكا وتنظيما عمــا سبق : فقد بناء أولا على المحسوسات الاساسية الخاصة بكل مجموعة عن الفنون •

وثانيا : على أساس التميز بين فنون الدرجـــة الاولى وفنـــون من الدرجة الثامنة •

ففى الناحية الاولى :

يحصى سوريو سبعة محسويات •

الخطوط ــ الاحجام ــ الالوان ــ الاضاءة ــ الحركات ــ الاصوات الجزئية المتقطعة ــ والمقاطع الصوتية ــ الاصوات الموسيقية •

من الناحية الثانية :

يوجد فى هذه المحسوسات فن من الدرجــة الاولى : وهــو فن غير تعبيرى •

تعبيرى مثل فن العمارة : لا يمكن الفصل بين المنزل المبنى وصــورة البيت التى هى تعبير عن فن العمارة •

وفن من الدرجة الثانية :

وهو فن تعبيرى تصورى : ــ وفيه لا ينصب التنظيم على الموجودات أو الاشياء الثابتة بل على مكوناتها •

أولا : فنون الدرجة الاولى :

١ الارابيسك : وهو الفن الزخرفى •

٢ ــ فن العمارة • ٣ ــ التصوير الخالص •

٤ ــ الاضاءة والاعمال الصوتية ٥ ــ الرقص

٦ ــ النثر الخالص ٧ ــ الموسيقى •

ثانيا : فنون الدرجة الثانية :

١ ــ الخطــوط Dessin

٢ ــ النحت Sculp

obeikandl.com

٣ ــ التصوير التعبيرى Peinture représentative

٤ ــ التصوير الفوتوغرافى ture

٥ ــ التمثيل الصـــامت Pantomime

٦ ــ الادب والشـــعر

٧ ــ الموسيقى الدرام أو الوصفية •

ويعتبر تصنيف سوريو Soriou أكثرها دقة وتعبيرا عن ظاهـرة التداخل بين الفنون[1] •

وأخيرا فمن هو الذى يصدر الاحكام الجمالية فى المجتمع على هـذه الفنون وعلى الفنانين عن كل الفئات •

فاذا كنا نخضع القيمة الجمالية لاحكام المجتمع لا لنزوات الافـراد وانحرافاتهم الشاذة فان ذلك يعنى أن المجتمع هو مصدر السلطات الجمالية وهو الذى يصور الجـزاءات ويثبت المجيـدين من ذوى المهـارة الفنية ــ وترجع الى المجتمع قياس القيمة الجمالية ، ويمارس هـذه السـلطة عن طريق وظائف ثلاث :

السلطة التشريعية ، والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية •

أما السلطة التشريعية فى الميول الفنى : مهمتها نشر القواعد الخاصة بالاعمال الفنية كالطرز والانواع والمدارس المتعلقة بكل مرحلة من مـراحل التطور الفنى •

أما السلطة القضائية : فوظيفتها تعيين الاعمال الرابحـة أو الخاسرة أو الملغاة أو المدلسة والحكم عليها بالجمال أو القبح أو بالاسـفاف أو بأنها

---

(١) فلسفة الجمال : الباب العاشر ص ١٨٩ .

ذات نزعة أكاديمية ، ويدخل فى أعمال السلطة القضائية أيضا تسجيل الارقام القياسية ومستويات الاجادة ودرجات الاتقان الفنى فى الجولات الفنية أى فى المعارض الفن ومسابقاته •

أما مهمة السلطة التنفيذية : فهى توقيع العقوبة أو منح المكافأة الجمالية ، فتحكم على الفنان بالنجاح أو بالفشل فى الحاضر أو بالنسيان أو بالمجد المتوقع لدى الاجيال القادمة • وخاصة القول أن الظاهرة الجمالية تعتبر ظاهرة اجتماعية وهى ظاهرة فنية لها صفات خاصة وقواعد ونظريات ووظائف اجتماعية ، كما أن للفن تصنيفات مختلفة تجمع شتى أنواع الفنون بكل فروعها ، ولا ننسى المثل الاعلى الخاص بالجمال والفن — ولقد تبين كيف تؤثر هذه الظاهرة الجمالية فى الاحساس والشعور وكيف تتأثر برأى المجتمع الذى يصور الاحكام الجمالية ، ويحكم على الشىء بالقبح أو بالجمال ، بالاضافة الى شعور الفنان الخاص الذى يتجلى فى خلق العمل الفنى الذى يـ تصف بالجمال •

فالفن هو الوسيلة الدائمة للتعبير عما بداخلنا ، وهو الذى يخلو الماضى ، ويحرك الساكن ، ولذلك فهو المعبر دائما عن ذروة الجهود وبالتالى عن الجمال الذى يمكن أن تسمو اليه الانسانية •